الـرأي المعـقول

في تحديد قبر فاطمة الزهراء عليها السلام البتول

الأستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

الرأي المعقول في تحديد قبر فاطمة الزهراء عليها السلام البتول

الأستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

المقدمة:

نفّذ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وصايا فاطمة الزهراء عليها السلام، ومنها: دفنها في جوف الليل، واخفاء معالم قبرها، وأن لا يحضر جنازتها أحد، وقد خاطبته عليها السلام بقولها: ((يا علي أنا فاطمة بنت محمد زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري حنطني وغسلني وكفني وصلِّ عليّ وادفني بالليل ولا تعلم أحداً واستودعك الله وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم يبعثون))[1]. ونقل عن الأصبغ بن نباته قوله: سئل أمير المؤمنين عن علة دفنه لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً فقال: ((أنها كانت ساخطة على قوم كرهت أن يحضروا جنازتها، وحرام على من يتولاهم أن يصلي على أحد منهم))[2]. ولم يحضر جنازتها إلاّ عدد قليل من الصحابة، وفي مقدمتهم الصحابة الأجلاء وهم:

١- أبو ذر الغفاري.

٢- سلمان الفارسي.

٣- المقداد بن الأسود.

٤- عمار بن ياسر.

٥- حذيفة بن اليمان.

٦- عبد الله بن مسعود.

وأضافت بعض المصادر عقيل بن أبي طالب، وبريدة، ونفراً من بني هاشم، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: وأنا أمامهم، وهم الذين شهدوا الصلاة على فاطمة عليها السلام[٣]. وقد دفنت عليها السلام ليلاً، وأشار الشاعر الازري إلى ذلك بقوله[٤]:

ولأي الأمـــور تـــدفن ســـراً ... بضـعة المصـطفى ويعفـى ثراهـا

فمضت وهـي أعظـم النـاس وجـداً ... في فـم الـدهر غصـة مـن جواهـا

وثـــوى لا يـــرى النـــاس مثـــوى ... أي قـــدس يضـــمه مثواهـــا

ويقول الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: ((خرجت من الدنيا آخر عهدها بها مع الليل، يشيعها إلى مثواها الأخير حفنة من الرجال، ومضت إلى ربها بقلبها الممرور))[٥] وقد دفنت في موضع لا يعرف حقيقته إلاّ آل بيت النبوة. وبعض الهاشميين. وانفار من الصحابة، وبقي حديث (قبر الزهراء) موضع تساؤل، وهذا مما جعل بعض المؤرخين يأخذون بهذه الرواية، ويرفضون غيرها. أو يقفون موقف المتشكك في هذا الموضع أو ذاك، ومنهم من يرجح بعض الروايات لقربها من الحقيقة، وسوف أورد مواضع القبر، وأضع الاحتمال الأقرب إلى الواقع التاريخي في نهاية المطاف.

أولاً: في مقبرة البقيع.

اعتمد بعض المؤرخين على رواية مدفن الزهراء عليها السلام في مقبرة البقيع. استناداً لأحداث تاريخية وقعت بعد وفاة الزهراء عليها السلام، فذكر أبو الفرج

الأصبهاني: إن الإمام الحسن عليه السلام دفن في جنب قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في مقبرة البقيع، وفي ظلة بني نبيه. لما ضعت السيدة عائشة وبنو أمية أن يدفن مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله[٦]. وذكر الخوارزمي: لما أراد الإمام علي عليه السلام أن يدفن الزهراء نودي من بقعة من البقيع إليّ إليّ، فقد رفع تربتها فنظر فإذا بقبر محفور، فحمل السرير إليه فدفنها[٧]. وأشار الشاعر إلى موضع الدفن هذا بقوله[٨]:

ولما قضت فاطم الزهراء غسلها ... عن أمرها بعلها الهادي وسبطاها

وقام حتى أتى بطن البقيع بها ... فصلى عليها عليّ ثم واراها

ولم يصل عليها منهم أحد ... حاشاها من صلاة ثم واراها

حتى إذا أصبح القوم غداة أتوا ... بعل البتول ولم يدروا بمثواها

قالوا له يا أبا السبطين ما فعلت ... بنت النبي فإنا قد فقدناها

أجابهم لحقت بالمصطفى فحملوا ... عليه غيظاً وحقداً حين أخفاها

وإننا نجد في رواية دفن الزهراء عليها السلام في مقبرة البقيع ضعفاً، لأن الإمام علياً عليه السلام حرص على إخفاء القبر، وعدم تشييع الزهراء عليها السلام علانية، وأن نقل الجثمان من بيت الزهراء إلى مقبرة البقيع يستدعي تجمع غير قليل من الناس للمشاركة في التشييع، وحتى إذا كان الأمر في منتصف الليل، أو في أواخره. فإن عملية التشييع والدفن سوف ينتشران بين الناس، وهذا مما لا يرضي الزهراء عليها السلام حسب وصيتها. ونستفيد من رواية الشيخ الكليني عند حديثه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: أنه دفن بالبقيع مع أبيه وجده والحسن عليهم السلام[٩] ولم يذكر في هذا الموضع قبر فاطمة عليها السلام،

وأن تحديد مقابر الأئمة (الحسن بن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي الباقر عليهم السلام) في مقبرة البقيع، مؤشراً واضحاً على عدم وجود قبر لفاطمة الزهراء عليها السلام. والتي سبق وفاتها، وفيات الأئمة سلام الله عليهم أجمعين.

ثانياً: بين القبر والمنبر.

استند بعض الباحثين إلى حديث نبوي شريف: ((ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة))[١٠] بأن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دفنت في هذا الموضع، وذكر الشيخ الطوسي روايات عدة عن موضع القبر ويبدو أنه قد رجّح رواية (بين القبر والمنبر) فيقول: ((إنك تأتي الروضة فتزور فاطمة عليها السلام، لأنها مقبورة هناك. وقد اختلف أصحابنا في موضع قبرها، فقال بعضهم: أنها دفنت بالبقيع، وقال بعضهم: أنها دفنت بالروضة، وقال بعضهم: أنها دفنت في بيتها، فلما زاد بنو أمية (لعنهم الله) في المسجد، صارت من جملة المسجد، وهاتان الروايتان كالمتقاربتين، والأفضل عندي أن يزور الإنسان من الموضعين جميعاً فإنه لا يضره ذلك ويجوز به أجراً عظيماً، وأما من قال: أنها دفنت بالبقيع فبعيد من الصواب))[١١].

وقد اقترب الشيخ الطوسي من حقيقة موضع القبر، بعد أن أبعده عن مقبرة البقيع. ولكنه لم يحسم الموقف بين روايتين هما: في بيت الزهراء. أم بين القبر والمنبر. ونحن نستبعد أن يكون قبر الزهراء عليها السلام في هذا الموضع لأن وجود السيدة عائشة في المكان الذي دفن فيه النبي الكريم صلى الله عليه وآله سيحول من دفن الزهراء فيه أو على مقربة منه - بدلالة أنها منعت دفن

الإمام الحسن عليه السلام عند قبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله بعد وفاة أمه فاطمة الزهراء عليها السلام وقد رجّح الفتال النيسابوري. دفن الزهراء عليها السلام بين قبر النبي صلى الله عليه وآله ومنبره بقوله: ((ليس قبرها بالبقيع، إنما قبرها بين قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ومنبره لا ببقيع الفرقد، وتصحيح ذلك قوله عليه السلام: بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة. إنما أراد بهذا القول قبر فاطمة عليها السلام[١٢]. وإذا تبسط النيسابوري في الحوادث التي شهدتها المدينة المنورة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ووفاة الزهراء عليها السلام المبكرة بعد أبيها المصطفى سلام الله عليه، لما جزم بموضع قبر الزهراء عليها السلام بين القبر والمنبر. وهما جزءان من البيت الذي تسكنه السيدة عائشة.

ثالثاً: في بيت عقيل.

أشار المؤرخ سبط ابن الجوزي إلى أن الزهراء عليها السلام. دفنت في زاوية من دار عقيل بن أبي طالب، وأن بين قبرها والطريق سبعة أذرع. وقال: عبد الله بن جعفر: ما أدركت أحداً يشك أن قبرها في ذلك الموضع[١٣] ولم نجد في المصادر المعتبرة صدى لهذه الرواية، وإنما جاءت من باب أخبار الآحاد ونستفيد من حديث الإمام علي عليه السلام، وهو يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بعد دفن الزهراء عليها السلام: ((السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك وزائرتك النازلة في جوارك، والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار أن لها سرعة اللحاق بك))[١٤] وأن عبارة (الجوار والثرى) يقصد منهما المناطق المجاورة للروضة النبوية الشريفة وهذا مما سوف نذهب إليه من باب القناعة أن الزهراء عليها السلام. دفنت في بيتها، المجاور لبيت النبي صلى الله عليه وآله.

رابعاً: في بيت الزهراء.

أكدت الأحاديث المروية عن أئمة آل البيت عليهم السلام: أن الزهراء عليها السلام دفنت في حجرتها، وفي بيتها المجاور لبيت الرسالة، وهذا مما جعلنا نرجح هذا الجانب، ونرفض ما عده من الروايات، وروي عن الإمامين: جعفر الصادق، وعلي الرضا عليهما السلام: أن فاطمة عليها السلام دفنت في بيتها[١٥] وسئل الإمام علي الهادي عليه السلام: أن رأيت أن تخبرني عن بيت أمك فاطمة عليها السلام، أهي في طيبة أو كما يقول الناس في البقيع، فكتب هي مع جدي صلوات الله عليه[١٦] ومن المرجح أن الإمام الهادي عليه السلام أراد (مع جدي) أي بالقرب منه. لأن بيت فاطمة وعلي عليهما السلام متلاصقاً مع بيت النبي صلى الله عليه وآله. وعند توسع الروضة النبوية الشريفة الحق بيت الزهراء بالمرقد النبوي. وأصبح قبر الزهراء عليها السلام على مسافة قصيرة من قبر أبيها (سلام الله عليه) وهذا ما أراد به الإمام الهادي عليه السلام (مع جدي)، ونحن نذهب إلى رأي نرجح فيه قبر الزهراء عليها السلام في حجرتها، وذلك للحفاظ على سرية الموضع. وإبعاد الناس عن المشاركة في التشييع وفق وصية الزهراء عليها السلام ومما يدعم رأينا هذا: أن الزهراء عليها السلام لما أحست بدنو أجلها، أخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام. وأوصلتهما إلى قبر جدهما المصطفى صلى الله عليه وآله فأجلستهما عنده، وصلت بين المنبر والقبر ركعتين ثم ضمتهما إلى صدرها وقالت: يا ولدي اجلسا عند أبيكما ساعة، وعلي عليه السلام يصلي في المسجد، ثم رجعت نحو المنزل، فحملت ما فضل من حنوط النبي صلى الله عليه وآله فاغتسلت به ولبست فضل كفنه ثم نادت: يا أسماء، فقالت لها: لبيك يا بنت رسول الله، فقالت: تعاهديني فإني ادخل هذا البيت، فأضع جنبي

ساعة، فإذا مضت ساعة، ولم أخرج فناديني ثلاثاً فإن أجبتك، وإلاّ فاعلمي اني لحقت بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي رواية أن الزهراء عليها السلام ماتت في سجدتها. وأكد الشيخ الصدوق أن مدفن الزهراء عليها السلام كان في حجرتها وقد ضعّف الروايات الأخرى، وقال: ((وهذا هو الصحيح عندي))[١٧]. وقد حدد موضع قبر الزهراء عليها السلام بقوله: ((إني لما حججت بيت الله الحرام كان رجوعي على المدينة بتوفيق الله عزّ وجل، فلما فرغت من زيارة النبي صلى الله عليه وآله قصدت إلى بيت فاطمة عليها السلام، وهو عند الاسطوانة التي يدخل إليها من باب الحضيرة، ويساري إليها، وجعلت ظهري إلى القبلة واستقبلها بوجهي))[١٨] وهذا التحديد الموقعي الدقيق له وجاهته العلمية على تعيين موضع قبر الزهراء عليها السلام. وأن الأدلة التاريخية والعقلية تؤكد على دفن الزهراء عليها السلام في بيتها، وفي حجرتها على وجه الخصوص.

خاتمة البحث:ـ

تناول شخصية الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام جماعة من المؤلفين العرب والمسلمين والأجانب، ومنهم من تناول جانباً من حياتها وأن البحث الموسوم (الرأي المعقول في تحديد قبر فاطمة الزهراء عليها السلام البتول) قد تحدد في موضوع وفاة الزهراء عليها السلام، وموضع قبرها، وقد وضعنا أربعة احتمالات، وأكدنا على صحة الاحتمال الرابع، بعد اطلاعنا على المصادر الأساسية، وأحاديث آل البيت عليهم السلام، وحاولت الوقوف على النصوص الواردة في المصادر، لاستخلاص الحقائق التاريخية - بقدر الامكان - بعد أن وجدت اغفالاً من بعض الباحثين لكثير من النصوص لأنها لا تتلاءم مع انتماءاتهم العقائدية، وهذا مما

يسبب فجوة في السيرة الفاطمية، ويعطي هذا الاغفال ابتعاداً عن طبيعة البحث العلمي، وموضوعية الباحث المحايد، لأن التاريخ هو البحث عن الحقيقة وتمحيصها وجلاء غموضها في أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية، وأن السيرة هي البحث عن الحقيقة في حياة الإنسان، وبخاصة في الجوانب الغامضة منها، وهذا مما جعلني اختار تحديد قبر الزهراء عليها السلام، من خلال النصوص الصحيحة، والابتعاد عن النصوص الضعيفة والموضوعة، ومناقشة بعضها، ولنا دعوة للباحثين، دراسة السيرة الفاطمية بصفتها ((سيدة نساء العالمين)) وهذه الانفرادية من بين نساء عصرها وما بعده أعطاها سمة الخصوصية والانفراد، وقد أشار إليها مؤرخو التاريخ الإسلامي، ومدونو الحديث الشريف، بصفتها: (فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمحدثة، والزهراء، والصديقة، والبتول، وبضعة الرسول صلى الله عليه وآله والمعصومة، والحوراء، والميمونة وغيرها من الألقاب) وانها أم الفضائل، وأم السبطين، وأم العترة، وأم الأئمة عليهم السلام، وفيها وآل بيت النبوة نزلت الآيات الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١٩] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٢٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۞ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٢١] ومن يقف على كتب تفسير القرآن الكريم يجد كثيراً من الآيات الكريمة نزلت في البيت المحمدي الذي يضم (الرسول الأعظم وأمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين وسيديّ شباب أهل الجنة). وقد أفرد بعض الباحثين ما نزل من القرآن

الكريم في أهل البيت عليهم السلام. أما كتب الحديث الشريف فهي حافلة بخصوصية أهل بيت النبوة سلام الله عليهم أجمعين، وكذلك كتب التاريخ والأدب والرجال والعقائد وغيرها.

هوامش البحث

(١) الخوارزمي: مقتل الحسين ٨٦/١، الأمين: المجالس السنية ٩٦/٥.
(٢) النوري: مستدرك الوسائل ٢٨٩/٢ - ٢٩٠.
(٣) اليعقوبي: التاريخ ٣٣٠/٢، الصدوق: الخصال ٣٣٠/٢، الطبرسي: اعلام الورى ص١٥٨.
(٤) الأمين: المجالس السنية ١٠٣/٥.
(٥) عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب ٢٠٣/١.
(٦) أبو الفرج الاصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٧٥.
(٧) الخوارزمي: مقتل الحسين ٨٦/١.
(٨) الفتال: روضة الواعظين ١٥٠/١.
(٩) الكليني: الكافي ٤٧٢/١.
(١٠) الصدوق: معاني الأخبار ٢٦٧/٢، من لا يحضره الفقيه ٣٤١/٢، الطبراني: المعجم الكبير ٢٢٧/١٢، الطبرسي: اعلام الورى ص١٥٩، الطريحي: مجمع البحرين ٣٠٧/٤.
(١١) الطوسي: تهذيب الأحكام ٩/٦.
(١٢) النيسابوري: روضة الواعظين ١٥٢/١.
(١٣) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص، ص٣٣٠.
(١٤) الكليني: الكافي ٤٥٩/١، سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص ص٣٣٠، الاربلي: كشف الغمة ١٢٧/٢، الأمين: المجالس السنية ٩٩/٥ - ١٠٠.
(١٥) الكليني: الكافي ٤٦١/١.
(١٦) النوري: مستدرك الوسائل ٢١٠/١٠.
(١٧) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٣٤١/٢.
(١٨) المصدر نفسه، ٣٤١/٢.
(١٩) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٢٠) سورة آل عمران: الآية ٦١.
(٢١) سورة الدهر: الآية ٥ - ٧.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- أبو الفرج الاصبهاني: علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ).

١- مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

- الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى (ت٦٩٣هـ).

٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النجف، النجف الأشرف ١٣٨٥هـ.

- الأمين: محسن الحسيني العاملي (ت١٣٧١هـ).

٣- المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، مطبعة ابن زيدون، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ/١٩٥١م.

- الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي (ت٥٦٨هـ).

٤- مقتل الحسين، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

- سبط ابن الجوزي: أبو المظفر شمس الدين يوسف (ت٦٥٤هـ).

٥- تذكرة الخواص، المطبعة العلمية، النجف الأشرف ١٣٦٩هـ.

- الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ).

٦- الخصال، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٧- معاني الأخبار، مطبعة الحيدري ١٣٧٩هـ.

٨- من لا يحضره الفقيه، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف، النجف الأشرف، الطبعة الرابعة ١٣٧٨هـ.

- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ).

٩- المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ).

١٠- أعلام الورى بأعلام الهدى، مطبعة الحيدري، طهران ١٣٣٨هـ.

- الطريحي: فخر الدين (ت١٠٨٥هـ).

١١- مجمع البحرين، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ).

١٢- تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ/١٩٥٩م.

- عبد الفتاح عبد المقصود.

١٣- الإمام علي بن أبي طالب، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى.

- الفتال النيسابوري: محمد (ت٥٠٨هـ).

١٤- روضة الواعظين، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

- الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ).

١٥- الكافي، مطبعة الحيدري، طهران ١٣٧٩هـ.

- النوري: حسين الطبرسي (ت١٣٢٠هـ).

١٦- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ).

١٧- التاريخ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.